**المحاضرة 3: الرواد و التجربة الشعرية 2(تابع)**

**تجربة عبد الوهاب البياتي الشعرية :**

لامس عبد الوهاب البياتي (1926-1999) آفاق التجديد في الشعر العربي المعاصر بمعية السياب و نازك الملائكة و صلاح عبد الصبور ،من خلال احتفائه بالشكل الجديد للقصيدة العربية ،الذي ابتدعه السياب و نازك الملائكة في أواخر سنة 1947و تابعهما شعراء عديدون في شتى أقطار العالم العربي ،و من بينهم الشاعر عبد الوهاب البياتي الذي أغنى الشعر العربي المعاصر بتجربته المتميزة التي أثبتت قدرته الفذّة على مضاهاة تجارب كبار الشعراء من الناحية الجمالية و اللغوية و الأسلوبية .

صدر للبياتي دواوين عديدة في شعر التفعيلة منها "أباريق مهشمة سنة 1954" ،"المجد للأطفال و الزيتون 1956"، "الذي يأتي و الذي لا يأتي 1966"، و كانت معظم قصائده عن الثورة و التمرد و المنفى و النضال .

**مفهوم التجربة الشعرية عند البياتي :**

يقول البياتي في معرض حديثه عن التجربة الشعرية :"إن الذكريات المستقاة من المعاناة الذاتية و الجماعية ،و من التراث القومي و الإنساني الذي يحيط بصاحبهما لا يتم اختيارها اعتباطا ،بل إنها تتجمع كما تتجمع برادة الحديد في مواجهة المغناطيس،فالمغناطيس يلفظ كل العناصر الزائفة الأخرى التي ليس لها علاقة بمعدن الحديد ،و هكذا الأمر في مقدرة الشاعر أو الكاتب على النفاذ إلى جوهر المادة التي يتعامل معها و التقاط ما هو صحيح و ثمين فيها "[[1]](#footnote-2).

فالتجربة الشعرية عنده تنبع من معاناة الذات و الجماعة المختزنة في ذاكرة الشاعر ،و من الرصيد الفكري و التراث الإنساني المحيط به،و كي يعبر عنها صاحبها ينبغي له أن ينتقي منه أفضل و أجود ما يحسن التعبير عنه.

**الصورة الرمزية في شعر البياتي :**

تتعدد الرموز بتعدد مجالات اشتغالها ،و تتعدد دلالتها بتعدد السياقات الواردة فيها ،و مدى قدرة الشاعر على تمثلها و توظيفها .

و قد استمد الشاعر رموزه من عناصر عديدة كالطبيعة و الأساطير و التراث الديني و الإنساني.و حتى واقعه النفسي.

**: في ماهية الصورة الشعرية الحداثية:**

يتوقف مفهوم الصورة الشعرية في القديم عند حدود الصور البلاغية كالتشبيه والمجاز، ولكنها في النقد الحديث تجاوزت هذا المفهوم وأصبحت تشكل اللغة الشعرية التي تكون « مشحونة بالتصوير، بدءا من أبسط أنواع المجاز وصعدا إلى المنظومات الأسطورية الشاملة العامة».

إن الصورة الشعرية ليست وليدة الصدفة، إنما نابعة من جهد كبير يمارسه الشاعر الفنان عن طريق اللغة وفق انتقائية دقيقة، لأنها نابعة من تجربة شعرية محسوسة، وهذا ما ذهب إليه الشاعر الأمريكي أزراباوند في تعريفه للصورة الشعرية حين قال عنها أنها « تلك التي تقدم تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن».

والجدير بالذكر أن الصورة الشعرية كلما غرقت في الغموض الفني الموحي كانت أقرب لروح الشعر وأصابت مفهوم الشعرية وهذا ما ذهب إليه عز الدين إسماعيل في حديثه عن شيوع ظاهرة الغموض في الشعر الجديد أنه « دليل على أن هذا الشعر قد حاول التخلص من كل صفة ليست شعرية، والاقتراب من طبيعة الشعر الأصيلة، ولا تبتعد ” راوية يحياوي” عن هذه النظرة وترى أن الصورة الشعرية مليئة بالتعقيد والتناقضات وأنها:« تركيب معقد ومسرح للتناقضات يقوم على تراسل الدلالات والأشياء وانصهار العلاقات البنيوية في بوتقة التجربة الكلية التي تمتد في كل جانب وتنفتح على زخم معنوي وشعوري غير متوقع.

وهذا الوصف يعني أن الصورة الشعرية الحداثية تحرر اللغة من العلاقات العقلية بين مفرداتها، وتولد علاقات جديدة تحدث الدهشة، وتخلق فنا جديدا متحدا ومنسجما، وعليه فإن القيمة الكبرى للصورة الشعرية تكمن في تنظيم التجربة الإنسانية للكشف عن المعنى الأعمق للوجود والحياة، وهذا ما سعى إليه البياتي كشاعر حداثي، حيث ارتبطت صوره الشعرية بموقفه من الوجود، واعتمد في ذلك على ثقافته الخاصة، لذلك فضل عالم الأساطير والرمز الغني بالانفعالات والأحاسيس.

**2- سمات الصورة الشعرية الحداثية :**

**2-1- الغموض الكثيف:**

إن التراكم الصوري من عناصر القصيدة الحديثة، مما نتج عنه ظاهرة الغموض و هي سمة من سمات الشعر الحداثي، و «تعد من أهم عوامل الأزمة القائمة بين القصيدة الحديثة و قرائها، ولم يعد النص الحداثي أحادي الدلالة، وإنما أضحى فضاء لدلالات متعددة « تتداخل فيها ثقافات مختلفة دون أن يكون أي منها أصليا، فالنص نسيج لألف بؤرة من بؤر الثقافة» ، ومعنى هذا أن النص الحداثي مفتوح على عدة تأويلات ومقاربات يعنى بها المتلقي، حسب درجة ثقافته.

ويرجع البياتي هذا الغموض إلى ثقافة الجمهور، حيث كلما زادت ثقافة المتلقي زال الغموض وكلما نقصت ثقافة المتلقي زاد الغموض، وفي هذا الشأن يقول:

« المتلقي يجب أن يكون روحيا وعقليا مهيأ لالتقاط التجربة الشعرية. أما إذا كانت هناك هوة واسعة ثقافيا وحضاريا بين الشاعر والمتلقي فحتما تنعدم الصلة بين الجانبين وهنا المأساة».

ففي قصيدته التي تتحدث عن الزعيم الوطني الجزائري العربي بن مهيدي والموسومة بـ:(الموت في الظهيرة) يقدم لنا الشاعر لمحات سريعة، خاطفة، وينتقل من صورة إلى أخرى تاركا المتلقي يغرق في بحر من التأويل، يقول الشاعر:

**قَمَرٌ أَسْوَدُ فيِ نَافِذَةِ الْسِّجْنِ، ولَيْل**

**و حمَاماتٌ وقُرْآنٌ وطِفْل**

**أَخْضَرَ الْعَيْنَيْنِ يَتْلُو**

**سُورَةَ النَّصْرِ، وفُلٌ**

**مِنْ حُقُولِ الْنُّورِ، مِن أُفُقٍ جَدِيِد**

**قَطَفَتْهُ يَدُ قِدِّيِسٍ شَهِيِد**

**يَدُ قْدّْيْسٍ وثَائِر**

**وَلَدَتْهُ فِي لَيَالِي بَعْثِهَا شَمْسُ الجَزَائِر.**

يقف المتلقي مندهشا أمام هذه الصور الخاطفة المشوشة، التي تتلاحق ويزداد معها الغموض، ويظل القارئ يبحث عن علاقة كل صورة بأختها (قمر أسود، نافذة السجن، ليل، حمامات، قرآن، طفل، أخضر العينين، يتلو سورة النصر، فل، حقول النور، أفق جديد، قديس، شهيد، ثائر، ليالي، شمس الجزائر).

فأول صورة تصدم المتلقي (قمر أسود) وتجعله يجتهد في تأويل هذا اللون المنسوب للقمر، أهو موت الثوار، أم خيبة الأمل، أم بشاعة الاستعمار، أم الخيانة، كل هذه تأويلات ينفتح عليها النص الحداثي، ولو عكسنا هذه الصورة على واقع الثورة الجزائرية نجد تناقضا مع المنظور الإيديولوجي للثورة، ولكن الشاعر الحداثي أبى إلاّ أن يجمع هذه الصور في صراع منذ البداية (قمر أسود) لتتفجر بعد هذه الصورة الدلالات والرموز « بفضل تراكبها وتعقدها وتناقض عناصرها الظاهرة» باثة مجموعة من الإشارات اللامعة في فضاء القصيدة، التي تحركها وحدة عاطفية تعد قوام هذه القصيدة التي لم تعد تساير العقل ومنطقه، وإنما يجب تقبلها كما هي، لأنها تعبر عن لحظة شعورية واحدة لا يمكن تجزئتها..

. لقد أضحت اللغة الشعرية لدى البياتي تتجاوز الواقع لعدم اقتناعها به، وتغوص في باطن الأشياء لتكشف عوالم أخرى كانت خفية، هذه الرؤيا الشعرية الجديدة تتسم بالتنبؤ والتطلع إلى المستقبل، وبالتالي فهي رؤيا استشرافية.

1. -عبد الوهاب البياتي ،ينابيع الشمس،السيرة الشعرية ،ط1،دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع،دمشق 1999،ص9

   [↑](#footnote-ref-2)